مناصبهم وتساوي منازلهم في الفضل مع رفعة مراتبهم ولو كان هذا المقام يحتمل ذكر اسمائهم الكريمة كلهم مع بيان مناصبهم وما صدر عنهم من اعمال الادب المشهورة بين كتب صنعوها ومقالات نشروها لزينت الصحيفة بمآثرهم وملأتها بمحامدهم ولكنني فاعلة ذلك ان شاء الله فيما سيجيء فاحليها بمقالات بعضهم ونفثات اقلامهم مرددة في نهاية حديثي خالص ثنائي ودعائي لجميع من اشرت اليهم من اولئك الافاضل الكرام حامدة الله تعالى لما قدر لي في هذه الرحلة من الجمع بين حسن البداية فيها وحسن الختام

المرأة في الشرق

(وهي تعريب المقالة التي نشرتها صاحبة هذه المجلة في مجلة « الاتنه » بباريز)

النساء في كل ممالك العالم تقريباً متشابهات في الخلق والعادة والزي والصفة والدين واللغة والجنس والطائفة وذلك لانه قبل ان تكون في الدنيا مملكة الا ويكون شعبها على الغالب من نوع واحد في كل شيء ولذلك كان النظر في تربية ذلك الشعب بنسائه ورجاله امراً ميسوراً لانه لايقتضي الا طريقة واحدة يجرى عليها ومذهباً منفرداً يختار بذاته وليس الشعب الواحد الجنس في المملكة الا مثل النبات فيها ينمو كله ويزكو في فصول معلومة وري معروف واما النساء في المملكة العثمانية وبالتالي في ممالكها فهن مختلفات كل الاختلاف في كل ماتقدم لنا من التشبيهات وذلك لاختلاف تلك المملكة التي جمعناها على

ممالك وعلى هذا النظر والقياس كانت الحيلة في تدبير شؤون المرأة العثمانية والتصرف في تعليمها على مايوافق الاقليم النازلة فيه والدين الناشئة عليه والعادة المستحكمة فيها معدودة من ادق الحيل واجلها بحيث يذنب الاوروبي كل الذنب اذا اتهمنا بالتقصير في شأنها والتمهل دون البلوغ بها غاية الكمال التي وصلت اليها المرأة الاوروبية بل ان الاوروبي لو انصف حالتنا ونظر اليها بعين العدل لعجب لائتلافنا ومسالمتنا بل لعجب كيف لم نتفرق كل الافتراق ونحن على مانحن عليه من بعد هذا الاختلاف

ولقد تولى ممالكنا هذه سلاطين من ادهى ملوك الارض وعانى شؤونها ساسة من امهر ساسة العالم ولكنهم قصروا كلهم دون تأليف هذه الشعوب المتفرقة والاجناس المتنافرة وكانوا مع كل جهدهم معذورين

ولا يخفى احداً ان تنافر الاجناس والاخلاق في المملكة يكون داعياً الى تفشي الجهل فيها حتى لتكون سعيدة اذا لم تضمحل ولم تزل وان تفشي العلم فيها يكون داعياً الى التئامها واجتماعها مهما اكثرت العادات تنافرها وذلك لان العلم لا سياسة له ولا دين بل هو مذهب الجميع وسياسة الكل

ولقد قلنا ان جميع السلاطين والحكام على فرط دهائهم وكثرة وسائلهم وحيلهم لم يستطيعوا جمع هذا المفرق ولا لمّ ذلك المشعث ولم يكن ذلك عن جهلهم وتقصيرهم بل كان كله عن نسيانهم شيئاً واحداً هو لدى الحقيقة كل شيء وهو العلم

ثم لقد دام هذا النسيان قروناً طوالاً والحسرة فيها تتجدد والاسف على بقاء ذلك التفريق يتردد حتى قدر الله لممالكنا هذه جلالة مولانا السلطان عبد الحميد فكان اول ما تنبه اليه هو اول من نسيه اسلافه الا وهو العلم لذلك

لم يكد يستقر على عرش الخلافة حتى امر بالعلم في الحال فانتشرت المدارس وعمت المكاتب وبذل جلالته في سبيل ذلك ما شاء سخاؤه وما قضى به واسع علمه وحكمته فاجتمعت في تلك المدارس كل الاجناس والاديان والعادات فتبادل بعضها فيها بعضاً حتى صارت اخلاق العثماني واحدة في كل مكان وعادة كل بلدة تلائم سائر البلدان ولولا ذلك لظل الجهل سائداً من جهة وظل ذلك التفريق ينفوه الى الابد من جهة ثانية وليس بعد هذه السياسة من سياسة ولا بعد تلك الحكمة من حكمة

ثم نظر جلالته فوجد ان الحال ممكنة التحسين قريبة الترقي وعلم ان السبيل قد انفتحت والطريق قد تمهدت وان الذي تم اثره لابد ان يتم اكثره فلم يجد لذلك الا المرأة ام الحال ومرضع الاستقبال فوجه كل عنايته الى الفتيات فما ترك صقعاً حتى انشأ لهن فيه مدرسة ولا اقليماً الا ولهن فيه اثر من عنايته واجتهاده ولما كان العلم لا يتزيى بزي دون آخر ولا يختط خطة دون اخرى لذلك نشأ كل الفتيات العثمانيات على خلق واحد هو حسن التهذيب والتربية ومحبة العلم والوطن فصارت فتاة بيروت كفتاة ازمير خلقاً وعادة وبنت يافا كبنت الاستانة طبعاً وسجية ومتى كانت المرأة كذلك فقد وجب بالطبع ان يكون اولادها مثلها وهذه النتيجة قد بدا اكثرها الان وستتم باذن الله بعد قريب من الزمان

ولمولانا السلطان مآثر عديدة لا متسع لذكرها الان بل اكثرها سياسية وليس من شأن مثلي التعرض للسياسة ولكني اقول ان اجل حكمة صدرت من جلالته هي الاهتمام في العلم على الاطلاق وانه قد ابدا اضخم شيء وهو المملكة العثمانية العظيمة بالطف شيء وهو تعليم المرأة الضعيفة

واني لا اطيل الكلام في هذا الموضوع خشية ان اعد متعصبة في مديح سلطاني او مغالية في وصف ما وصلت اليه المرأة في بلادي ولكنني اقول ان كل من يتهم الان المرأة العثمانية بالجهل او يصف حكومتها بالتقصير في شأنها فقد اذنب وظلم كما قدمت فان اقوى الممالك التي نصفها بالاقتدار والصولة بل ادهى السياسيين الذين ننعتهم بالحيلة والدهاء لو كانت بلادهم مثل بلادي العثمانية متشعبة الاطراف واسعة الاكناف كثيرة الاجناس وافرة الاختلاف لما بلغت بدهائهم معشار ما بلغته المملكة العثمانية الان ولا استطاعوا ان ينفعوها بجزء مما نفعها به جلالة السلطان

ثم ان مولانا السلطان يقول دائماً اني لا اتعدى حد التدريج وهو يعتقد اعتقاد كل عالم ان الطفرة محال لذلك اذكر لكم ان كل هذا الذي تم على عظمه وفائدته انما هو اجزاء متتابعة سيتمها الكل وحالات متفاوتة سيضمها الجمع ولكن اذا كان كل هذا قد تم في خمسة وعشرين عاماً فكم يتم بعد خمسة وعشرين اخرى ان شاء الله واذا كان هذا هو الاساس وهو عظيم كما ترون فكم يكون تمام البناء